(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف:١٧٠-١٧٤]

الشيخ: إلى هنا.

الحمد لله والصلاة والسلام..، لما ذكر الله -تعالى- الذين وَرِثوا الكتاب من بني إسرائيل ولم يقوموا به، ولم يحكموا به بل أخذوا العِوَضَ والأثمان والرِّشى { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى} إلى آخر هذه الآية [الأعراف:١٦٩]

ذكر الصنفَ الآخرَ وهم الصالحون المصلِحون الذين عملوا بالكتابِ وتمسَّكوا به واستقامُوا عليه وحكمُوا به، وقد وعدَهم بالثوابِ على ذلك، {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}.

ثم ذكر -سبحانه وتعالى- أمرًا ذُكِر في مواضعَ من القرآن وهو رفعُ الجبلِ عليهم على بني إسرائيل؛ تهديدًا لهم لَمَّا كان منهم عتوٌّ ومعصيةٌ، {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ .. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} فيه تهديدٌ لهم وحفزٌ لهم ليطيعوا ويستجيبوا، {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

ثم قال -سبحانه-: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} إلى آخر الآيات، قال بعضُ المفسرين: أن المقصود من هذه الآية ما جاءَ في الآثار مِن أنَّ الله استخرجَ ذريَّةَ آدم من ظهره، واستنطقَهم وأشهدَهم على أنفسهم حتى أقرُّوا له بالربوبية والوحدانية، ومنهم مَن يقولُ أن هذه الآيات عامَّةٌ في بني آدم، عامَّةٌ، وأنَّ الميثاقَ الذي أخذَه الله عليهم هو الفطرةُ التي فطرَهم عليها، وهو الإقرار بأنه -تعالى- ربُّهم وخالقُهم وخالقُ كلّ شيء على معنى قوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف:٨٧]، {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} نعم، اقرأ.

(تفسير السعدي)

القارئ: قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى–:

وَإِنَّمَا الْعُقَلَاءُ حَقِيقَةً مَنْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} أَيْ: يَتَمَسَّكُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا فَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ، الَّتِي عِلْمُهَا أَشْرَفُ الْعُلُومِ.

وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَوَامِرِ الَّتِي هِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ وَسُرُورُ الْقُلُوبِ،

الشيخ: اللهم اشرح به صدرونا، اللهم اشرح صدرونا للعمل بكتابك

القارئ: وَأَفْرَاحُ الْأَرْوَاحِ، وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ، إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ولهذا

الشيخ: الله أكبر ولهذا خصَّها الله بالذكر، وهذا كثير، وهذا متعدد في القرآن، كما في الآية الأخرى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر:٢٩] لا إله إلا الله، الصلاةُ شأنُها عظيمٌ في الدِّين وعند الله، ولكن أكثرُ المسلمين مُفَرِّطون فيها على مراتبَ وعلى درجاتٍ، فينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يعرفَ عِظَمَ الصلاةِ عِظَمَ شأنِها، ولهذا جاءَ الأمرُ بها والثناءُ على أهلِها على المقيمينَ لها، والخاشعينَ فيها، والمحافظينَ عليها، {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة:٢٣٨]

القارئ: وَلِهَذَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِفَضْلِهَا، وَشَرَفِهَا، وَكَوْنِهَا مِيزَانَ الْإِيمَانِ، وَإِقَامَتُهَا دَاعِيَةٌ لِإِقَامَةِ غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

وَلَمَّا كَانَ عَمَلُهُمْ كُلُّهُ إِصْلَاحًا، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، مُصْلِحِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا أَشْبَهَهَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ رُسُلَهُ –عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– بِالصَّلَاحِ لَا بِالْفَسَادِ، وَبِالْمَنَافِعِ لَا بِالْمَضَارِّ، وَأَنَّهُمْ بُعِثُوا بِصَلَاحِ الدَّارَيْنِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَصْلَحَ، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ –تَعَالَى–: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ} حِينَ امْتَنَعُوا مِنْ قَبُولِ مَا فِي التَّوْرَاةِ.

فَأَلْزَمَهُمُ اللَّهُ الْعَمَلَ وَنَتَقَ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْجَبَلَ، فَصَارَ فَوْقَهُمْ {كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} وَقِيلَ لَهُمْ: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أَيْ: بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.

{وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} دِرَاسَةً وَمُبَاحَثَةً، وَاتِّصَافًا بِالْعَمَلِ بِهِ {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ.

يقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أي: أَخْرَجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.

الشيخ: قف على الآية ذي، {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ} يمكن عليها بعض الكلام، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله حسين

طالب: حسين قريب، دقيقتين

الشيخ: كمل يا أبو أيوب

القارئ: يقول –تعالى–: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أَيْ: أَخْرَجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ وَيَتَوَالَدُونَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ.

{وَ} حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَأَصْلَابِ آبَائِهِمْ {أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} أَيْ: قَرَّرَهُمْ بِإِثْبَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، بِمَا أَوْدَعَهُ فِي فِطَرِهِمْ مِنَ الْإِقْرَارِ، بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ وَمَلِيكُهُمْ.

{قَالُوا: بَلَى} قَدْ أَقْرَرْنَا بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ عِبَادِهِ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ الْقَيِّمِ.

فَكُلُّ أَحَدٍ فَهُوَ مَفْطُورٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْفِطْرَةَ قَدْ تُغَيَّرُ وَتُبَدَّلُ بِمَا يَطْرَأُ عَلَى الْعُقُولِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ،

الشيخ: كما في الحديث: (فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ)، لا إله إلا الله، نعم

القارئ: وَلِهَذَا {قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} أَيْ: إِنَّمَا امْتَحَنَّاكُمْ حَتَّى أَقْرَرْتُمْ بِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَكُمْ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– رَبُّكُمْ، خَشْيَةَ أَنْ تُنْكِرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقِرُّوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ مَا قَامَتْ عَلَيْكُمْ، وَلَا عِنْدَكُمْ بِهَا عِلْمٌ، بَلْ أَنْتُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا لَاهُونَ.

فَالْيَوْمَ قَدِ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ.

أَوْ تَحْتَجُّونَ أَيْضًا بِحُجَّةٍ أُخْرَى، فَتَقُولُونَ: {إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ} فَحَذَوْنَا حَذْوَهُمْ، وَتَبِعْنَاهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ.

{أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} فَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي فِطَرِكُمْ، مَا يَدُلُّكُمْ عَلَى أَنَّ مَا مَعَ آبَائِكُمْ بَاطِلٌ، وَأَنَّ الْحَقَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَهَذَا يُقَاوِمُ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ، وَيَعْلُو عَلَيْهِ.

الشيخ: كثيرٌ من الكفار يُدْرِكون أنَّ ما جاءتْ به الرسلُ هو الخيرُ والحقُّ، ولكن يمنعُهم التعصُّبُ للآباء، {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف:٢٣] هذه من شبهاتِ أعداءِ الرسلِ، والمستضعفون يتَّبعونَ المستكبرينَ، يَحْذُونَ حذوَهم ويُطيعونهم في تكذيبِ الرسلِ وفي الشركِ بالله، ويومَ القيامةِ يتبرأُ المتبوعونَ من التَّابعين، {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [البقرة:١٦٦] نسأل الله العافية، نسأل الله العافية، نعم.

القارئ: نَعَمْ قَدْ يَعْرِضُ لِلْعَبْدِ مِنْ أَقْوَالِ آبَائِهِ الضَّالِّينَ، وَمَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ مَا يَظُنُّهُ هُوَ الْحَقَّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِعْرَاضِهِ عَنْ حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ وَآيَاتِهِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، فَإِعْرَاضُهُ عَنْ ذَلِكَ وَإِقْبَالُهُ عَلَى مَا قَالَهُ الْمُبْطِلُونَ رُبَّمَا صَيَّرَهُ بِحَالَةٍ يُفَضِّلُ بِهَا الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ. هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذَا يَوْمَ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى ذُرِّيَّةِ آدَمَ، حِينَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِهِ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَشَهِدُوا بِذَلِكَ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا أَقَرُّوا بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى ظُلْمِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا، وَلَا لَهُ مُنَاسِبَةٌ، وَلَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ.

فَإِنَّ هَذَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، الَّذِي ذَكَرُوا، أَنَّهُ حِينَ أَخْرَجَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، حِينَ كَانُوا فِي عَالَمِ كَالذَّرِّ، لَا يَذْكُرُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِ آدَمِيٍّ، فَكَيْفَ يَحْتَجُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَمْرٍ لَيْسَ عِنْدَهُمْ بِهِ خَبَرٌ، وَلَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ؟ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ هَذَا أَمْرًا وَاضِحًا جَلِيًّا.

قَالَ -تَعَالَى-: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ} أَيْ: نُبَيِّنُهَا وَنُوَضِّحُهَا، {وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إِلَى مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي فِطَرِهِمْ، وَإِلَى مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَيَرْتَدِعُونَ عَنِ الْقَبَائِحِ. انتهى.

الشيخ: أحسنتَ.